ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

Reading in the Conflict and Rivalry between the Countries of the Islamic Maghreb and Its Impact on the Future of the Zayani State (760-866 AH / 1359-1461AD)

Assist. Prof. Dr
Tayeb Boudjema Naima

Ibn Khaldoun University / Tiaret / Algeria

* *Corresponding author: E-mail* :
tayeb_histoire @yahoo.fr

(٠٠٢١٣)٠٥٥٠٣٢٦٢٢

Keywords:
conflict,
rivalry,
the Islamic Maghreb,
the Zian state;
The Hafsid state;
The Marinid state

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 1 Mar. 2020
Accepted 9 Nov 2020
Available online 31 Mar 2021
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

A B S T R A C T

The political situation in the Central Maghreb region during the reign of the Zayani family witnessed terrible events, which resonated with the Islamic Maghreb in general and the Central Maghreb in particular, the region having suffered from a state of political instability due to the continued interference of the two neighboring countries, the Marinid and the Hafsidis, in the internal affairs of the state of Zianide. This had led to a state of political chaos, instability and insecurity in the region. Many Zianid rulers tried to resist these external challenges to defend their state, but events showed that they were powerless to prevent this, so their state remained unable to oppose the Marinids and Hafsids except for a few occasions, and each of their neighbors invaded and besieged the Zianid lands on several occasions and were able to besiege and occupy the capital Tlemcen, particularly by Beni Marin, and overthrow the throne of Bani Zayan in limited periods of time and successive. Through this article, we will try to follow the evolution of these events and show the extent of their impact on the central Maghreb (Algeria) and their impact on the weakness of the Zianide regime, and it is strange that this does not happen. It had not affected the cultural, intellectual and economic ties between them despite this turmoil in political relations.

© 2021 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.28.2021.13

قراءة في الصراع والتنافس بين دول المغرب الإسلامي وأثره على مستقبل الدولة الزيانية (٧٦٠-٨٦٦ هـ/ ١٣٥٩-١٤٦١م)

أ.م.د. نعيمة طيب بوجمعة/ جامعة ابن خلدون/ تيارت / الجزائر

الخلاصة:

شهدت الأوضاع السياسية في منطقة المغرب الأوسط خلال حكم الأسرة الزيانية أحداثا جساما، كان لها صداها في بلاد المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا، إذ عانت المنطقة من حالة

عدم استقرار سياسي نتيجة استمرار تدخلات الدولتين المجاورتين –المرينية والحفصية– في الشؤون الداخلية للدولة الزيانية، الأمر الذي أدى إلى حدوث حالة من الفوضى السياسية وعدم الاستقرار وفقدان الأمن بالمنطقة. وحاول العديد من الحكام الزيانيين الوقوف في وجه هذه التحديات الخارجية للدفاع عن دولتهم، ولكن الأحداث أظهرت أن لا حول ولا قوة لهم للحيلولة دون وقوع ذلك، فبقيت دولتهم غير قادرة على الوقوف في وجه المرينيين والحفصيين إلا في مناسبات قليلة، وكانت كل من الجارتين الشرقية– الحفصية– الغربية – المرينية– تقومان باجتياح الأراضي الزيانية عدة مرات واستطاعتا أن تحاصرا الحاضرة تلمسان واحتلالها، ولاسيما من قبل بني مرين وتطيحا بعرش بني زيان في فترات زمنية محدودة ومتعاقبة. ومن خلال هذه المداخلة سوف نحاول تتبع تطورات الأحداث تلك وبيان مدى تأثيرها على منطقة المغرب الأوسط (الجزائر) وأثرها في ضعف الحكم الزياني، والعجيب أن ذلك لم يؤثر على الروابط الثقافية والفكرية والاقتصادية بينهم رغم هذا الاضطراب في العلاقات السياسية.

تمهيد:

تميزت الأوضاع السياسية في منطقة المغرب الأوسط ما بين النصف الثاني من القرن الثامن الهجري والنصف الأول من القرن التاسع الهجري (ق ١٤–١٥م)، بأحداث جسام في بلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، إذ عانت المنطقة من حالة عدم استقرار نتيجة لاستمرار تدخلات الدولتين المجاورتين –المرينية والحفصية– في الشؤون الداخلية للدولة الزيانية، الأمر الذي أدى إلى حدوث حالة من الفوضى السياسية وعدم الاستقرار وفقدان الأمن بالمنطقة.

وحاول العديد من حكام الزيانيين الوقوف في وجه هذه التحديات الخارجية للدفاع عن دولتهم، ولكن الأحداث أظهرت أن لا حول ولا قوة لهم للحيلولة دون وقوع ذلك، فبقيت دولتهم غير قادرة على الوقوف في وجه المرينيين والحفصيين إلا في مناسبات قليلة، ويعلق فيلالي عبد العزيز على هذه المسألة بالقول: "كانت كل من الجارة الشرقية –يقصد الحفصيين– والجارة الغربية –يقصد المرينين– قد قامتا باجتياح الأراضي الزيانية عدة مرات واستطاعتا من محاصرة الحاضرة تلمسان واحتلالها، ولاسيما من قبل بني مرين وتطيحا بعرش بني زيان في فترات زمنية محدودة ومتعاقبة"(١).

وشكل استمرار التهديدات الخارجية عائقا أمام استقرار الدولة الزيانية سياسيا خاصة التدخل من جانب المرينيين. وقد أشار جورج مارسيه (Georges MARCAIS) إلى الأهمية الجيوسياسية التي تتمتع بها منطقة المغرب الأوسط لا سيما ممتلكات الدولة الزيانية، وهو الذي حفزهم دائما على احتلالها أحياناً أو إخضاعها حينا آخر، حيث يقول: "لأن موقع بني عبد الواد كانت أهم موقع لانتشار القبائل

المرينية في بلاد البربر –يقصد المغرب الإسلامي–، كانت الرغبة في الانتشار بالنسبة للمرينيين تراثا قديما طوال تاريخهم"[٢].

وأشار ابن الأحمر إلى التراجع الذي أصاب الدولة الزيانية، واعتبر الفترة الممتدة من حكم أبي حمو موسى الثاني وحتى نهاية الحكم الزياني الدور الأخير لهذه الدولة، حيث كتب ابن الأحمر يقول: "هنا يدخل بنو زيان في الدور الأخير لأن قوتهم الأصلية كان أمرها قد وهن، وأصبح عمادهم من الآن فصاعدا على من يستطيعون الاعتماد عليهم من العرب الضاربين في نواحيهم أو من بني مرين، وأصبحت بلادهم نهبا موزعاً بين بني حفص حيناً وبني مرين في معظم الأحوال"[٣].

ومن خلال رأي ابن الأحمر بخصوص الأدوار التي مر بها الحكم الزياني، نجد فيها تناقضا مع الرؤية السياسية التي طرحها ابن خلدون في خصوص أطوار الدولة واختلاف أحوالها وخلق أهلها باختلاف الأطوار، حين يقول: "اعلم أن الدولة تنتقل في أطوار مختلفة وحالات متجددة، ويكتسب القائمون بها في كل طور خلقا من أحوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الأخير، لأن الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه وحالات الدولة وأطوارها لا تعدو في الغالب خمسة أطوار"[٤]. وهنا يعلق محمد فاروق النبهان على ما ذهب إليه ابن خلدون، فكتب يقول: "يرى ابن خلدون أن للدولة أعمارا كما للأشخاص، وأن المجد والحسب إنما هو في أربعة أباء من أربعة أجيال متلاحقة"[٥].

ولكن ما يستدعي التوقف هنا، هو التقسيم الذي أشار إليه ابن الأحمر، والرأي الذي ذكره ابن خلدون بخصوص أطوار الدولة، يمكن أن ينطبق على الحالة التي مرت بها الدولة الزيانية. فالسؤال المطروح هنا: هل كانت الدولة الزيانية بالآلية أو التطور الذي يجعلنا نأخذ بمراحل هذا الأطوار؟.

ووفق ما ذكرنا من قبل، فإننا إذا أخذنا بما ذهب إليه ابن خلدون في مقدمته من أن الفساد سيؤدي في النهاية إلى ضعف الملك وانهياره[٦]، ولكننا حينما نقرأ في الحياة السياسية للدولة الزيانية لم نجد حسب ظننا أن حالات الضعف والصراع على السلطة مرتبط بفساد مؤسساتها بقدر ما هو مرتبط بتأثير العامل الخارجي، ونعني هنا تدخل الدول المجاورة (المرينية والحفصية) في شؤونها إما اعتداء أو تحريضاً. وما ذهبنا إليه من قبل، يجعلني أجد صعوبة في تقبل الرأي الذي يذهب إليه البعض عند الحديث مكانة وقوة الدولة الزيانية في مواجهة المخاطر الخارجية التي تحيط بها. ومقدرتها على إبعاد الخطر الذي يهددها، خصوصا التهديد المريني[٧]. ولكن حقيقة الحال هو المصادفة وظروف الدولة المرينية والعناية الإلهية هي التي كانت تحول دون زوال ملك الزيانيين نهائيا عن المغرب الأوسط.

والأغرب من هذا، أن ازدهار الدولة الزيانية –وإن لم يرتق إلى مصاف تغيير الخارطة السياسية بشكل جذري في منطقة المغرب الإسلامي ونمو قوتها– كان انعكاسا لحالة الضعف والتراجع الذي كانت

تمر به دول الجوار أيضاً. وتلخص هذا الوضع سهام بوعنيني، بالقول: "لقد كانت هذه التدخلات تشكل الشغل الشاغل لملوك بني زيان منذ عهد يغمراسن مؤسس دولتهم، فكانوا يبذلون معظم الجهود لرد عادية جيرانهم والدفاع عن حوزة بلادهم والاستعانة بالقبائل المجاورة لهم أو المتمركزة في منطقتهم للحد من الاعتداءات المتكررة. ولعل قلة الأنصار وضعف الدولة ساهما في اختفائها من خريطة المغرب الإسلامي عدة مرات"[٨]. ومن خلال حديثنا عن حكام الدولة الزيانية خلال الفترة (٧٦٠-٨٦٦هـ/١٣٥٩-١٤٦١م) ستتجلى ملامح هذه الرؤية التي طرحناها بخصوص تأثير العامل الخارجي في ضعف وإحياء الدولة الزيانية في المغرب الأوسط.

على العموم، حاول السلطان المريني أبو الحسن[٩] إعادة إحياء الدولة الموحدية[١٠] التي حكمت المغرب الإسلامي والأندلس من قبل. وهذا المشروع السياسي الذي سيطر على تفكير السلطان المريني، جعله يتجه بأنظاره إلى الدولة الزيانية في المغرب الأوسط، فقام بتجهيز حملة عسكرية لغزو تلمسان بحجة مضايقة أبي تاشفين[١١] بن حمو لأصهاره الحفصيين[١٢]، فضرب حصارا على مدينة تلمسان حصارا دام ثلاث سنوات في ١١ شوال ٧٣٥هـ/ حزيران ١٣٣٥م، وتمكن من دخولها في يوم ٢٨ رمضان ٧٣٧هـ/٢ مايس ١٣٣٧م، وقتل السلطان الزياني أبي تاشفين بن حمو وأبنيه (عثمان ومسعود) وأنهى حكمهم. واجتهد السلطان أبو الحسن في التوسع في ممتلكات الدولة الزيانية قدر الإمكان[١٣]. وحينما أمن حدوده مع المغرب الأوسط اتجه بأنظاره نحو بلاد الأندلس، ولكن مخططه هذا فشل على إثر الهزيمة التي تعرض لها في معركة طريف سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م[١٤].

وعلى اثر فشل حملته في الأندلس، اتجه بأنظاره –من جديد– نحو ما تبقى من منطقتي المغرب الأوسط وإفريقية والمغرب الأدنى، فجاء القرار بالزحف نحوهما سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، وتمكن من دخول مدن: بجاية، قسنطينة وعنابة، حتى دخل حاضرة الحفصيين (تونس) في يوم ٨ جمادي الآخرة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م بعد مقتل السلطان الحفصي أبي حفص عمر. ولكن سرعان ما انقلبت الأمور في غير صالحه بعد أن ثارت ضده قبائل بني سليم[١٥] بإفريقية وهزمته[١٦]. وعلق جورج مارسيه على قصر نظر السلطان أبي الحسن في تعامله مع قبائل بني سليم، بالقول: "بعد غزو تونس –يقصد إفريقية– وجلاء بني حفص عنها، وجد أبو الحسن نفسه أمام عرب سليم الذين احتلوا الأرض واستقروا بها منذ ثلاثة قرون، واعتبروا أنفسهم أسيادا لها فأراد القضاء على مكانتهم ومعاملتهم كما يعامل العرب في مملكته، ولكنه اصطدم بتحالفهم وتعثر بأذيال الخيبة، وكانت هزيمة أبو الحسن في القيروان أول ضربة أصابت سلطان مملكة فاس –يقصد الدولة المرينية–"[١٧].

إن ما كان يقصده جورج مارسيه هو حالة الاختلال الذي أصاب الدولة المرينية، حينما تقاتل الأب والابن على الحكم فيها، إذ حينما وصلت الأخبار إلى أبي عنان تشير إلى موت أبيه أبو الحسن،

أعلن نفسه سلطان على الدولة المرينية سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م. واستغل أمراء الأسرة الزيانية اضطراب الأوضاع فانتخبوا أبا سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان لإعادة إحياء الدولة من جديد[١٨].

وبعد أن استقرت الأوضاع لأبي عنان المريني في حكم الدولة المرينية (٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٧م)، عمل على إعادة إحياء فكرة والده في إنشاء دولة جامعة لمنطقة المغرب الإسلامي، فكانت الخطوة الأولى هي استرجاع السيطرة على مدينة تلمسان وإنهاء الحكم الزياني فيها، ونتيجة تباين القوى بين الطرفين لم يجد أبو عنان صعوبة في إنهاء الحكم الزياني في تلمسان، لاسيما بعد الفشل العسكري الذي أصاب الجيش الزياني بقيادة أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن في ربيع الثاني سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م لمنع المرينيين من الوصول إلى تلمسان، ومع مقتل أبي سعيد لم يبق أمام أبي ثابت شقيق أبي سعيد وشريكه في الحكم إلا الانسحاب نحو تلمسان، ونظرا لانعدام توازن القوى بين الطرفين قرر الانسحاب منها ومقاومة المرينيين انطلاق من مدينة الجزائر، ولكنه فشل، وقرر اللجوء[١٩] للسلطان الحفصي مع أفراد العائلة الزيانية[٢٠].

وعلى إثر هذا النجاح قرر أبو عنان القضاء على الدولة الحفصية التي تنافسه على النفوذ في منطقة المغرب الأوسط، وحينما انطلق في عمله العسكري تمكن من تحقيق نجاحات سريعة مكنته فيما بعد من دخول مدينة تونس سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٦م، إلا أن مشروعه لم يتحقق في ضم كامل بلاد المغرب الإسلامي نتيجة اعتراض قادة جيشه على استمرارية الحملة، وذلك خوفا من أن تعاد مأساة تجربة حملة أبيه وما رافقها من خسائر بشرية ومادية كبيرة، وحينها شعر بخطر تآمر قادته العسكريين عليه قرر العودة إلى فاس وهناك قتل من قبل وزيره، مما أدخل الدولة المرينية في حالة من الاختلال مما ساعد على تهيئة الظروف والأسباب لإحياء الدولة الزيانية[٢١].

أبو حمو الثاني وإعادة إحياء الدولة الزيانية:

لقد أدى فشل مشروع السلطان المريني أبي عنان في توحيد بلاد المغرب الإسلامي[٢٢]- مثلما فشل أبوه من قبل- في تهيئة الظروف من جديد، لبعث ملك بني زيان بعد أن كاد يندثر، لاسيما وأن الأنباء وردت عن وفاة السلطان أبي عنان فارس وما شهدته الدولة المرينية من حالة اختلال، وتمكن أبو حمو موسى الثاني من أن يغتنم الاضطرابات التي عرفتها الدولة المرينية ليحقق مبتغاه[٢٣]. واستجمع قواه من جديد وعمل على استعادة دولة أجداده وآبائه وتمكن من استعادة مدينة تلمسان مركز حكم الزيانيين، وبويع بالخلافة في غرة شهر ربيع الأول سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨م، وذلك بعد وفاة أبي عنان بقرابة الشهرين[٢٤]، ليعيد إحياء الدولة الزيانية من جديد. ويشير الدكتور لخضر عبدلي إلى مكانة التي احتلها أبي حمو موسى الثاني في تاريخ الدولة الزيانية ودوره في استعادت وجودها بعد زوالها على يد السلطان

المريني أبي عنان، بالقول: "يحتل مكانة خاصة في تاريخ دولة بني عبد الواد، لأنه أول من تولى السلطنة بعد زوالها من قبل السلطان أبي عنان المريني سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م من بيت أبيه، ولم تخرج السلطة من بيته حتى سقطت دولة بني عبد الواد، فكان مؤسس الفرع الثاني الذي استمر بالحكم زهاء قرنين من الزمن"[٢٥].

وحتى ان أبا حمو موسى الثاني لم يترك انجازه في إعادة حكم الأسرة الزيانية يمر من دون أن يخلده بقصيدة تدل على علو كعبه في ميدان الشع كذلكر، ومن بين ما جادت به قريحته:

فَلاَ صُلْحَ حَتَى تُضْرمَ الحَرْبُ نَارَهَا وَتسَاقَط الأَبْـدَانُ تَحْـتَ الجَمَاجِمِ
وَتخلَى مِنَ الأَعْدَاءِ دَارُ عُهدتِــهِ مَــعَ الآنِسَاتِ النَاعَمَــاتِ الكَرَائِمِ
دَخَلتُ تِلمسَانَ التِي كُنتُ أَرتجِي كَمَا ذَكَرُوا فِي الجِفـرِ أَهلُ المَلاَحِمِ
فَخلصَت مَن غِصـانهَا دَارُ مُلكنَا وطَهَّرتُهَـا مِن كُـل بَـاغٍ وَجَازِمِ[٢٦]

وقد كان أبو حمو الثاني قبل تسلمه مقاليد الحكم في تلمسان لاجئاً في تونس، في كنف السلطان أبي إسحاق إبراهيم أبي يحي الحفصي (٧٥١-٧٧٠هـ/١٣٥٠-١٣٦٨م) ووزيره محمد بن تافراكين، وعلى الرغم من مراسلة السلطان أبي عنان للحفصين بطرد أبي حمو ومن تبعه، إلا أن الوزير بن تافراكين أبى تسليمهم وجاهر بإجارتهم[٢٧].

عرف أبو حمو موسى الثاني بحنكة السياسية وخصاله الحميدة، والتي مكنته من إعادة إرساء قواعد الحكم وتثبيت أركان الدولة الزيانية، وأضاء نجوم سمائها بعد الانكدار[٢٨]، ومن أجل إعادة هيبة الدولة عمل على محاربة القبائل المتمردة واستعادت السيطرة على مناطقها، وهذا ما جعل فترة حكمه تشهد الكثير من الأعمال العسكرية لتحقيق ذلك[٢٩]. وبفضل ذكائه وحنكته السياسية تمكن من إدارة شؤون دولته بنجاح. حيث عمل جاهداً للمحافظة على حالة الاستقرار والهدوء في بلاده، إلا أن ذلك لم يتحقق بشكل دائم خلال فترة حكمه، وارتبطت حالة عدم الاستقرار بسببين، أحدهما: ظهور منافس جديد وهو أبو زيان بن عثمان بن أبي تاشفين الأول، وثانيهما: تذبذب ولاء القبائل العربية في المغرب الأوسط بين الولاء له والرفض، وقد ساهم هذين السببين في تعكير فترة حكمه حتى مقتله[٣٠].

أما على الصعيد الخارجي، حاول أبو حمو موسى الثاني إبقاء علاقاته ودية مع الحفصيين من أجل مواجهة التهديد المريني المستمر لدولته، والدسائس التي كانت يحيكها المرينيون لحكمه. ومن المفارقات ما سيحدث، لم يكن يخطر على بال أبي حمو موسى وهو تمرد الابن على الأب من أجل الحكم[٣١]، حينما نشب خلافاً حاداً بينه وبين ابنه أبي تاشفين حول من هو احق بالحكم ، وذلك بتحريض وتشجيع من قبل المرينيين، وهو ما أوصل الأمور إلى حد استخدام السيف بين الاثنين من أجل الإنفراد

بالحكم فاقتتل الطرفان، وأثناء المعركة سقط أبو حمو من على صهوة فرسه[٣٢]، فأسرته قوات أبي تاشفين والذي أمر بقطع رأس أبيه وإرساله إلى السلطان المريني في فاس سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م تعبيرا عن ولائه لهم بعدما قدموا له الدعم والمساندة في مواجهة أبيه[٣٣].

ونتيجة هذا الاقتتال الداخلي، انقضت أزهى فترة من تاريخ الحكم الزياني، والتي تجسدت فيها استقلاليتها وسيادتها على ذاتها بعيدا عن أي تأثير أجنبي، مما ساعدها في إحداث نهضة علمية وثقافية نتيجة رغبة السلطان أبي حمو في ذلك، ولقد عانت الدولة الزيانية بعد موته من تدخلات الحفصيين تارة والمرينيين تارة أخرى.

أبو تاشفين وعودة الهيمنة المرينية[٣٤]

لقد شكلت نهاية حكم أبي حمو موسى الثاني بداية لمرحلة جديدة من العلاقات الغير متوازنة بين الزيانيين والدولة المرينية[٣٥]. وكان لدعمهم لأبي تاشفين عبد الرحمن الثاني ضد أبيه بداية إستراتيجية جديدة للمرينيين، على ما يبدو، تجاه الدولة الزيانية وما يحدث فيها من صراع على السلطة، إذ توقفوا عن التدخل المباشر واستخدام القوة المسلحة لحسم خلافاتهم مع السلطان الزياني، واكتفوا بتأييد الطامعين بالعرش الزياني من أبناء الأسرة الحاكمة ومدهم بالمال والقوة وإشعال نار الفتن ودفعهم للخروج على الحكم القائم، وذلك مقابل ضمان ولائهم للمرينين والدعوة لهم على المنابر[٣٦].

تولى أبو تاشفين عبد الرحمن الثاني بن أبي حمو موسى (٧٩٠-٧٩٥هـ/١٣٨٨-١٣٩٢م) الحكم بحماية المرينيين له، ونتيجة لذلك أقر بالدعوة للسلطان المريني والخطبة له على المنابر ، ويبعث له بإتاوة سنوية كما اشترطها هو على نفسه[٣٧]. ونتيجة هذا فقدت الدولة الزيانية سيادتها التي أرادها لها السلطان أبو حمو موسى الثاني فوقعت تحت تأثير وتبعية الدولة المرينية، والتي أخذت تتلاعب بالأسرة الزيانية وفق ما ترى وتهوى، فاشتدت الضغائن بين أبنائها وكثرت الدسائس والمؤامرات لتولي زمام الأمور فيها.

وهذا الحال الذي آلت إليه الدولة الزيانية في ظل الهيمنة المرينية خلط الأوراق في فهم تداعياته على منطقة المغرب الإسلامي. وليس هذا فحسب، وإنما ترك غشاوة على أعين بعض من كتب عن هذه المرحلة، وفي هذا الخصوص كتب محمد بوشقيف وهو يتحدث عن التأثير المريني في الحكم الزياني بشيء من التناقض، حين قال: "واستبد أبو تاشفين بالحكم لكنه كان خاضعا لبني مرين يخطب لهم على منابر مساجد المغرب الأوسط ويؤدي الإتاوات السنوية لهم، هذا الوضع أثار حفيظة البيت الزياني الذي لم يرض بالتبعية المرينية، حيث ثار أخ السلطان عليه وهو أبو زيان بن أبي حمو حاكم مدينة الجزائر الذي حاول الهجوم على تلمسان، إلا أن كل محاولاته باءت بالفشل، ما دفعه للجوء إلى المرينيين

لمساعدته، كما ساعدوا أخاه بالأمس ضد أبيه"[٣٨]. وغرابة القول هنا، ذلك التناقض ما بين رفضه التدخل المريني سبب ثورته واستعانته بهم لمواجهة أخيه ؟. ولكن، مثلما ذكرت من قبل ، فان السلطان المريني، كان كل همه ابقاء الدولة الزيانية تسير في فلك حكمه، وما سياسة فرق تسد التي اتبعها المرينيون في تفرقة البيت الزياني الا وسيلة لتحقيق غاياته، فمع ضعف الدولة الزيانية والمشكل الداخلية التي كانت تعاني منها، فضلا عن الجموح نحو السلطة لدى بعض أفرادها، جعل السلطان المريني يتصرف وفق مايراه مناسبا لنفوذه داخل الدولة الزيانية، ومن هنا كان يتدخل في صالح او ذاك من الامراء للوصول الى الحكم بعد ان يضمن ولائه وطاعته اليه.

التدخل المريني واشتداد الصراع الداخلي على الحكم

نتيجة رغبة السلطان المريني ضمان نفوذه في منطقة المغرب الاوسط، كان المرينيون يترقبون إحداث الصراع القائم على السلطة في تلمسان بين الأمراء الزيانيين، والتأهب للتحرك في دعم الطرف الأقوى في الصراع. وحينما بدأت موازين القوى تميل لصالح أبو زيان انقلبوا على حليفهم أبي تاشفين، وساندوا الأول، وقدموا له الدعم العسكري عبر الزحف عسكريا نحو مدينة تلمسان [٣٩]. وفي هذه الأثناء توفي أبو تاشفين في ربيع الآخرة سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٢م على إثر مرض أصيب به، فقام وزيره أحمد بن العز بمبايعة أبنه بالحكم، وهو أبو ثابت بن أبي تاشفين الثاني وهو صغير السن، وأعلن نفسه وصياً عليه في إدارة شؤون الحكم. ولم يحكم أبو ثابت إلا أربعين يوما فقط. إذ أثار هذا الأمر حفيظة وطمع عمه والي مدينة الجزائر يوسف بن أبي حمو الشهير بـ"ابن الزابية"، فتحرك نحو تلمسان واستولى على الحكم بعد أن قتل الوزير والأمير الصغير معا، وهو الأمر الذي أثار بلبلة كبيرة في تلمسان[٤٠].

ولم تنل الخطوة التي قام بها أبو الحجاج يوسف[٤١] رضا السلطان المريني أبي العباس أحمد[٤٢]، فأجبر المرينيين على تغير موقفهم إزاء تطورات الأحداث في الدولة الزيانية، حينما أمر السلطان أبا العباس أحمد باعتقال الأمير أبي زيان محمد وسجنه في فاس، وإرسال ولده أبي فارس عبد العزيز على رأس حملة عسكرية من فاس لإنهاء حكمه، وتمكنت القوات المرينية من الاستيلاء على كامل أراضي الدولة الزيانية، وخلع أبي الحجاج بعد عشرة أشهر من توليه الحكم (ما بين ٧٩٥-٧٩٦هـ/ ١٣٩٣-١٣٩٤م) الذي فر إلى قبيلة بني عامر، ومات هناك مسموما سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٤م[٤٣].

ومن خلال نظرة فاحصة لمجريات الأحداث، نجد أن الدولة الزيانية خلال هذه الفترة كانت غير قادرة سياسيا على مواجهة التحديات والضغوط المرينية بالمطلق، وذلك راجع أولا إلى موقعها الجغرافي الوسط الذي جعلها عرضة للتدخلات المرينية تارة والحفصية تارة أخرى، وثانيا مواجهتها للقبائل العربية وعلى رأسها زغبة وبني سليم التي كانت تثور ضدها من أجل عدم دفع الضرائب مما يجعل الحكام الزيانيين منشغلين في إخماد هذه التمردات، وهو ما كانت تستغله الجارتين من أجل التدخل في شؤونها

والاستيلاء على أجزاء من أراضيها، حتى أن الحكام المرينيين كانوا يغيرون من مساندتهم ودعمهم من أمير زياني إلى آخر وفق ما تمليه عليهم مصالحهم. والدليل على ذلك، هو مساندتهم للأمير أبي زيان بن أبي حمو ضد أخيه السلطان أبي تاشفين[٤٤]، لكون الأخير خرج عن إرادتها وسيطرتها، وسرعان ما اعتقلت أبا زيان حينما قفز إلى سدة الحكم أبو الحجاج يوسف. وحسبما أرى أن المرينيين كانوا مقتنعين بأن بقاء الصراع داخل البيت الزياني يصب في مصلحتهم ويضعف الدولة الزيانية أكثر فأكثر.

الهيمنة المرينية والتمرد الزياني

بعد احتلال الجيش المريني لمدينة تلمسان وإنهاء حكم أبي الحجاج فيها، رأى السلطان أبو العباس أحمد إلحاق تلمسان بالحكم المريني المباشر. وفي طريق عودته إلى مدينة فاس، مرض وتوفي في مدينة تازا، وبويع لولده أبو فارس عبد العزيز سلطاناً جديداً في يوم ١٠ محرم ٧٩٦هـ/١٣٩٣م. ونتيجة ذلك، أعاد السلطان الجديد النظر في قرار والده، فقرر إطلاق سراح الأمير أبي زيان بن أبي حمو الذي كان معتقلا في فاس، وعينه أميرا على تلمسان[٤٥].

وبعد أن استقر الحكم لأبي زيان محمد الثاني (٧٩٦-٨٠١هـ/١٣٩٤-١٣٩٨م) بدعم وحماية المرينيين، شهدت تلمسان بعض الاستقرار فسكنت أحوالها. وهذا ما جعل أبا زيان يتجه بأنظاره نحو الاهتمام بشؤون العلم والعلماء، حينما أخذ يهتم بأمور الأدب والشعر والاعتناء بالكتب ونسخها واقتنائها ووقفها على المسجد الأعظم، فصنف كتابا في التصوف "كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الإمارة"، فعرفت بالتالي فترة حكمه نشاطا علميا كبيرا في ميدان التأليف من قبل علماء تلمسان ومن حل بالمدينة من علماء المغرب الإسلامي[٤٦]، وكتب الجيلالي عبد الرحمن معلقا على هذا، بالقول: "يمتاز عصر أبو زيان بنشاط العلماء والتأليف ورواج سوق العلم والأدب العربي فيه ووضع المصنفات الكثيرة التي ترى أسماءها مثبوتة في الفهارس وكتب التراجم والطبقات"[٤٧].

وسرعان ما تنكر السلطان المريني لوعوده له فسعى إلى تقويض حكمه، ويشير فيلالي عبد العزيز إلى المسألة بالقول: "ومن البديهي أن لا يرضى صاحب فأس أن تكون دولة تلمسان بهذه المكانة والرقي الحضاري والقوة العسكرية، فأخذ يدس له الدسائس ويوعز لمن يطيح بعرش أبي زيان فاستعمل من أجل ذلك شتى الوسائل، حتى لا تكون هناك دولة في المغرب الأوسط تضاهي دولته وتنافسها في المجال العسكري والنفوذ في المنطقة"[٤٨]. فشكل ذلك حافزا لأخيه أبي محمد عبد الله للعمل من أجل الاستيلاء على الحكم في تلمسان، وهو ما تحقق بالفعل، حينما زحف نحو مدينة تلمسان ودخلها في سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م، وفر أبو زيان منها نحو شرق مملكته لجمع الأنصار من أجل إستعادة حكمه، وظل يتنقل بين القبائل العربية إلى أن قتل من قبل محمد بن مسعود الوعزاني سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م[٤٩].

لقد غدت الأوضاع السياسية في الدولة الزيانية تحت رحمة الدولة المرينية، وأصبحت هذه الأخيرة تتدخل وقت ما تشاء وكيف ما تريد في شؤون البيت الزياني، وتطيح بهذا وتولي هذا، فأخذت بذلك الدولة الزيانية تفقد بريقها، وكتب فيلالي عبد العزيز قائلا: "لأن حكامها نصبوا بسيوف مرينية من جهة، وأن الفوضى السياسية والفتن الداخلية، وفقدت كثيرا من الأقاليم والمناطق، خرجت عن نفوذها وصارت تتحكم فيها بعض القبائل، وتدخل بني مرين في شؤون المغرب الأوسط أصبح مستمرا"(٥٠).

ويعتبر أبو محمد عبد الله الأول بن أبي حمو موسى الثاني (٨٠١-٨٠٤هـ/١٣٩٨-١٤٠٢م) من سلاطين الزيانيين الذين عرفوا بالحزم والصرامة في الحق والعدل بين رعايا دولته، وهذا السلوك لم يكن يرضي الكل عنه مما أثار عليه الضغائن(٥١). ولم تكد تستقر الأمور له، وعمل على استرجاع بعض من هيبة الدولة المفقودة حتى أخاف السلطان المريني من نشاطه(٥٢)، والذي قرر مهاجمة مدينة تلمسان سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م، واحتلالها واعتقال أبي محمد عبد الله ونصب بدلا عنه أخاه أبا عبد الله محمد(٥٣).

ولم يأت أبو عبد الله محمد بن أبي حمو موسى الثاني (٨٠٤-٨١٣هـ/١٤٠٢-١٤١١م) إلا بإرادة مرينية كما لاحظنا من قبل، عرف بشغفه بالعلم والفنون وتشجيعه العلماء، مما جعل عهده يعرف رخاءا واستقرارا، وكتب الحافظ التنسي عنه، قائلا: "جزل العطاء حليم عن الدماء، فطافت به الآمال، واتسع في الثناء عليه المقال، وملأت قلوب الرعية من حبه، ونزل من كل إنسان منزلة ناظره وقلبه...فهو عندهم العلق الثمين"، وتوفي عام ٨١٣هـ/١٤١١م، وخلفه ابنه عبد الرحمن الثالث(٥٤). وهذا الاستقرار لم يمنع قيام ثورات ومشاكل السياسية فضلا عن تدخل الدولة المرينية في شؤون الحكم الزياني مرة أخرى وبشكل سافر.

التدافع المريني الحفصي على الدولة الزيانية :

كانت نهاية حكم أبي عبد الله محمد بداية لموجة من الفوضى السياسية في الدولة الزيانية، وهي نتاج الصراع على السلطة من قبل أمراء الأسرة الزيانية ورغبتهم بالحكم، ومما زاد الطين بله، هو الدور الذي قام به السلطان المريني في تأجيج حالة التصارع بين الأمراء عبر دعم أطراف على حساب غيرها، وكانت النتيجة تناوب الحكام على العرش الزياني لفترات قصيرة، حتى أن بعضهم لم يستمر إلا أشهرا معدودات مثلما حدث للسلطان عبد الرحمن الثالث (٨١٣-٨١٤هـ/١٤١١م)، والذي لم يدم حكمه أكثر من شهرين وأيام معدودة، إذ تولى الحكم بعد وفاة والده أبي عبد الله محمد، لكن سرعان ما قام عمه السعيد بإجباره على التنازل عن العرش في سنة ٨١٤هـ/١٤١١م(٥٥). وتكرر الحال نفسه مع السعيد بن أبي حمو موسى الثاني (٨١٤هـ/١٤١١م) الذي انقلب عليه أخوه أبو مالك عبد الواحد بن أبي حمو الثاني

(٨١٤-٨٢٧هـ/١٤١١-١٤٢٤م) بتحريض من قبل السلطان المريني، فتمكن من احتلال مدينة تلمسان في رجب من سنة ٨١٤هـ/١٤١١م وتولى زمام الأمور في تلمسان[٥٦].

وجاء اعتلاء السلطان أبي مالك عبد الواحد بن أبي حمو موسى الثاني (٨١٤-٨٢٧هـ/١٤١١-١٤٢٤م) للعرش الزياني بمساعدة مرينية، كما أشرنا من قبل. ولكن، الذي حدث أن هذا السلطان حاول استعادت هيبة الدولة عل الصعيد الخارجي والداخلي، لاسيما وأنه يمتلك من الصفات ما يجعله بمستوى تحديات المرحلة، إذ بالشجاعة والحزم والسجايا الكريمة ونشر العلم والمعرفة وإصلاح شؤون الرعية. وكان هدفه الأول هو إيقاف تهديدات دول الجوار ومنعها من التدخل في شؤون بلاده، واقتنع من أن تحقيق ذلك لا يتم إلا من خلال بناء جيش قوي ومتماسك. واتجهت أنظاره صوب حدود بلاده الشرقية، فعمل على دفع الحفصيين عن ممتلكات دولته، ونجح في العديد من المناسبات من استعادت ما سيطروا عليه. ولكن الأمور لم تستمر في صالحه، فقد تمكن السلطان الحفصي من دخول مدينة تلمسان سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٤م، وأزاح أبا مالك عبد الواحد عن الحكم ووضع مكانه أبا عبد الله محمد الرابع (٨٢٧-٨٣١هـ/١٤٢٤-١٤٢٨م)[٥٧].

على الرغم من تنصيبه من قبل السلطان الحفصي ملكا للدولة الزيانية، إلا أنه سرعان ما انقلب عليه، ورفض الدعوة لهم، وحاول جاهدا العمل على استقرار وتهدئة الجبهة الداخلية استعدادا لمواجهة أي تحديات خارجية وعلى ما يبدو نجح في ذلك، حيث كتب الحافظ التنسي يقول: "فقابل الدهر أيامه بالإسعاد، حتى سارت من حسنها كالمواسم والأعياد، وعم الخصب في دولته البلاد، وارتفعت عن الرعية الأنكاد، فالتحقت قلوبهم على محبته فلا يخرج لهم من بال، ويودون أن يفدوه بالنفس والولد والمال، فذكره عندهم أحلى من الماء العذب الزلال"[٥٨]. وعلى الرغم من هذه الجهود، لم تكن مؤسسات الدولة الزيانية قادرة على استعادت إمكانياتها وقدراتها، وذلك نتيجة تفاقم الصراع على السلطة، وتدخل الدول المجاورة داعمة لهذا الطرف أو ذاك.

لقد تميزت الفترة التي حكم خلالها أبو عبد الله محمد الرابع باستفحال التدخل الحفصي في شؤون الحكم الزياني، ولم تجد نفعا محاولاته للتخلص من ذلك التأثير الحفصي، ولاسيما وأن أمراء الأسرة الزيانية اعتادوا على استرضاء حكام دول الجوار (مرينيين وحفصيين) لمساعدتهم بالتغلب على منافسيهم ووضعهم على رأس الدولة الزيانية. وعلى سبيل المثال، حينما حاول أبو عبد الله محمد التخلص من التدخل الحفصي في شؤون بلاده، وجد أبو مالك عبد الواحد الذي لم يهضم بعد إزاحته عن الحكم، الفرصة مواتية للعودة، فعمل ما بوسعه لاسترضاء الحفصيين وطلب مساعدتهم وهو ما تحقق بالفعل، حينما نجح في إزاحة أبي عبد الله محمد عن العرش الزياني بدعم منهم إلا أن أبا عبد الله محمد سرعان ما جمع أنصاره وعاد إلى تلمسان التي دخلها في ذي القعدة ٨٣٣هـ/١٤٣٠م، وقتل أبا مالك عبد الواحد واستعاد العرش

الزياني من جديد[٥٩]. وهكذا دخل الصراع على العرش الزياني مرحلة جديد لم تحسم إلا بتدخل السلطان الحفصي واحتلاله لمدينة تلمسان والقبض على أبي عبد الله محمد، وتنصيب عمه أبي العباس أحمد سنة ٨٣٤هـ/١٤٤٠م مكانه، وأخذه أسيرا إلى تونس التي مات فيها سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م[٦٠].

ولكن ما يلاحظ على فترة حكم أبي العباس أحمد المعتصم أنها شهدت تمزقاً لكيان الدولة، حيث أخذ حكام المناطق ينسلخون عن السلطة المركزية، فضلا عن الثورات التي شهدتها الدولة ضد الحكم المركزي. وعلى الرغم من ذلك واظب على ذات السنة الحميدة التي اتبعها الحكام الزيانيون، وهي الاهتمام بالعلم والعلماء، فكان من جملة ما قام به من أعمال: محاولته نشر العدل بين الرعية، والسعي في نشر العلم بترميم ما تلاشى من المدرسة التاشفينية، وبتشييد مسجد الحسن بن مخلوف الراشدي ومدرسته المعروفة باسم "أبركان"، وقام بإنشاء مسجد الشيخ السنوسي وجدد بناء أسوار المشور[٦١].

وعلى الرغم من امتداد حكم أحمد العاقل لأكثر من اثنين وثلاثين عاما، وتلاشي مسألة الصراع على السلطة، إلا أن هذه الأخيرة واجهت تحديا من نوع آخر، تمثل هذه المرة في تمرد حكام المناطق على السلطة المركزية، فضلا عن كثرت الثورات التي قامت بها القبائل ضد السلطة الزيانية. وهذا الأمر لم يعط العاقل القدرة على إعادة بناء الدولة وتماسكها على الرغم من طول فترة حكمه، مما جعلها غير قادرة على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية معا، مما جعلها في حالة تراجع وضعف.

الخاتمة:

خلاصة القول، ومن خلال دراستنا لموضوع (قراءة في الصراع والتنافس بين دول المغرب الإسلامي وأثره على مستقبل الدولة الزيانية (٧٦٠-٨٦٦هـ/١٣٥٩-١٤٦١م)) تستنتج بعض الأمور التي افرزها هذا الصراع والتنافس والتي اثرت على مستقبل واستقرار الدولة الزيانية ومنطقة المغرب الأوسط، وهي:

١. عانت الدولة الزيانية من حالة عدم الاستقرار السياسي وكثرة الصراعات بين الأمراء الزيانيين على كرسي الحكم، مما جعلها تفتقر الى الهدوء والاستقرار، مما اثر على جوانب الحياة المختلفة الى حد ما.
٢. الصراع على كرسي الحكم في الدولة الزيانية بين أبناء الأسرة الزيانية جعل حكامها ، احبوا او كرهوا، تتقاذف بهم الولاءات مابين الحفصيين تارة والمرينيين تارة أخرى، ولم تجدي محاولات البعض من الحكام الزيانيين إثبات استقلاليته وابتعاده عن التأثيرات المرينية أو الحفصية، ولكن تلك المحاولات كانت تجد الرفض والمواجهة العنيفة التي وصلت للغزو والاستباحة وقتل الحاكم.

٣. على الرغم من كل التحديات والمخاطر التي واجهت الدولة الزيانية، فإننا نجد استمرارية الدولة وبقائها، ولكنها بمستوى هزيل ان صح التعبير، وفي هذا الاتجاه، وهنا نستعين بما قاله ابن الأحمر حول استمرارية الدولة الزيانية رغم هذه الانقسامات والصراع الداخلي، حين قال: "كان بقاءها مضطربا مزعزعا توالى فيه الأمراء واحدا بعد واحد دون مجد أو فخر، وفي الغالب كان الأمراء يقومون ويختفون بتأييد من العرب ومن بني مرين أو الحفصين"[٦٢].

٤. ومن معالم الاختلال في هذا الصراع والتنافس على منطقة المغرب الأوسط، وتأثيره الواضح طبيعة كيان الدولة الزيانية . فعلى سبيل المثال أن حدود هذه الدولة لم تكن ثابتة ومستقرة، بل كانت ما بين مد وجزر تبعا للظروف السياسية والأخطار الخارجية، وحدودها لم تتجاوز حدودها أسوار مدينة تلمسان في بعض عهودها. وهو مرتبط بالتهديد المريني المستمر للدولة الزيانية والحملات العسكرية التي كانت تحاصر تلمسان الحاضرة الزيانية في العديد من المناسبات. وهذا دليل على انحصار تأثير السلطة على أفرادها، وعوض ذلك تنامي واتساع القيم القبلية خارج حدودها –أي مدينة تلمسان–، وهذا الحال ساهم في إضعاف بنية المجتمع في منطقة المغرب الأوسط.

٥. لم يكن وجود الدولة الزيانية بالمؤثر في منطقة المغرب الأوسط، لكونها عانت من هشاشة نظامها السياسي وكيانها الإقليمي بسبب تدخل دول الجوار في شؤونها، وهذا ما جعلها تعاني كثيرا بمرور الوقت، فضلا عن إدمانها في الاستعانة بالقوى الخارجية لحماية كيانها.

٦. وتجدر الإشارة هنا، أن التذبذب السياسي والاقتتال العسكري التي كانت تعاني منه الدولة الزيانية لم يؤثر على الحياة الفكرية والثقافية، إذ عرف المغرب الأوسط أوج وازدهاره الثقافي على العهد الزياني.

الهوامش:

١. فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني. الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠، الجزء١، ص: ٤٤.

٢. جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الاسلامي في العصور الوسطى. ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٩١.، ص: ٣١٩.

٣. ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين. الرباط، المطبعة الملكية، الطبعة١، ١٩٦٢، ص: ٣٤.

٤. ابن خلدون، المقدمة. ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١.، ص ص: ٢١٩-٢٢١.

٥. النبهان محمد فاروق، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة. بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة ١، ١٩٩٨، ص: ٢٠١.

٦. المصدر نفسه، ص: ٢٠٢.

٧. ينظر في هذا الاتجاه على سبيل المثال: بكاي هوارية، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا. مذكرة ماجستير غير منشورة في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، ٢٠٠٨، ص ص: ١٩٠-٢١٥.

٨. بوعنيني سهام، أبو عبد الله التنسي وكتابه نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ٢٠٠٩، ص: ٢.

٩. أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق (٧٣١-٧٥٢هـ/١٣٣٠-١٣٥١م): ولد في صفر ٦٩٧هـ/١٢٩٦م، وبويع بالحكم في الدولة المرينية بعد أبيه في ٢٥ ذي العقدة ٧٣١هـ/١٣٣٠م، حكم لمدة ٢٠ سنة ثم انقلب عليه ابنه أبو عنان وبويع بالحكم بدلا منه. مات في ٢٧ ربيع الاول ٧٥٢هـ/١٣٥١م وعمره ستون سنة. ينظر: ابن الأحمر، المصدر السابق، ص ص: ٢٥-٢٦.

١٠. الموحدون: سلالة بربرية حكمت في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس خلال الفترة ما بين(٥٢٤-٦٦٧هـ/ ١١٣٠-١٢٦٩ م). أطلق عليهم تسمية (الموحدون) لكون أتباع هذه الطريقة كانوا يدعوا إلى توحيد الله. بلغت الدولة أوجها في عهد أبي يعقوب يوسف ثم أبي يوسف يعقوب المنصور مع بناء العديد من المدن الجديدة وتشجيع الثقافة والحياة الفكرية. لمزيد من التفاصيل، ينظر: سالم السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والتوزيع والنشر، بلا مكان نشر، الطبعة ٢، ص ص: ٦٨٣-٧٧٨.

١١. أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو موسى بن أبي سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان: خامس حكام الدولة الزيانية وآخرهم في الدور الأول منها، ولد سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٣م، عرف عنه حب للفنون وبناء المنشآت

العمرانية، والاستعانة بالخبرات الأجنبية لتنفيذ العديد من المشاريع العمرانية في تلمسان. دخل في صراعات مسلحة مع دول الجوار، حيث هاجم الحفصيين سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، حتى انتصر عليهم في سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م، وتعرضت الدولة الزيانية وحاضرتها في عهده لهجوم السلطان المريني أبي الحسن الذي احتل تلمسان وقتله في ٢٧ رمضان ٧٣٧هـ/١٣٣٦م. ينظر: نويهض عادل، المصدر السابق، ص: ٥٦. ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر. بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة ٢، ١٩٨٠، ص: ٥٦.

١٢. حدثت حالة تصاهر بين الأسرة المرينية والأسرة الحفصية خلال هذه الفترة.

١٣. التنسي، المصدر السابق، ص ص:١٤٥ -١٤٦؛ الناصري أبو العباس أحمد، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى -الدولة المرينية-. تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٩٧، الجزء ٣، ص ص: ١٢٣-١٢٤.

١٤. معركة طريف: وقعت في الأول من جمادى الأولى سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م، أين التقى الجيش المريني بقيادة السلطان أبي الحسن بجيش قشتالة بقيادة ألفونسو الحادي عشر، انتهت بهزيمة للمرينين، وكانت أولى علامات سقوط الأندلس. ينظر: الفيلالي عبد الكريم، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير. القاهرة، شركة ناس للطباعة، الطبعة١، ٢٠٠٦، الجزء ٣، ص ص: ١٥٧-١٦١.

١٥. بنو سليم: قبيلة عربية بطن متسع من أوسع بطون مضر، وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس، من بطونها عصية وذكوان، كانت منازلهم قبل الهجرة الهلالية بنجد ثم ساروا إلى أفريقية، ومن بطونها التي بإفريقية قبائل زغب وذياب وهيب وعوف. ينظر: ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١، الجزء ٧. ص ص:١٤١- ١٤٢.

١٦. الناصري، المصدر السابق، ج: ٣، ص ص: ١٥٨-١٦٢.

١٧. جورج مارسيه، المصدر السابق، ص ص: ٣٢٦-٣٢٧.

١٨. الزركشي، المصدر السابق، ص ص: ١٤٦-١٧٦؛ عبدلي لخضر، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد. وهران، ابن النديم للنشر والتوزيع، الطبعة ١، ٢٠١١، ص ص: ٩٥-٩٦.

١٩. وفر شريكه في الحكم أخو السلطان أبو ثابت بمعية ابن أخيه أبي حمو الثاني باتجاه تونس، ولكن أثناء انتقالهما تمكن والي بجاية الذي كان مواليا للسلطان المريني من إلقاء القبض عليهما وأرسل أبا ثابت إلى أبي عنان، فيما أطلق سراح أبي حمو الذي واصل سيره حتى وصل تونس. ينظر: لخضر عبدلي، المصدر السابق، ص ص: ١٠٠-١٠١.

٢٠. التنسي، المصدر السابق، ص ص: ١٥٣-١٥٤. الناصري، المصدر السابق، الجزء ٣، ص: ١٨٢.

٢١. ابن خلدون يحي، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد. الجزائر، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، الطبعة ١، ١٩٠٣، مجلد:١، الجزء ٢، ص: ٢٤؛ الناصري، المصدر السابق، الجزء ٣، ص ص: ٢٠٢-٢٠٣.

٢٢. في إطار التنافس القائم بين دول المغرب الإسلامي كانت مسألة القضاء على الآخر ماثلة أمام أعين الحكام، ومن هنا لا يخرج مشروع السلطان المريني أبي الحسن ومن بعده ابنه أبي عنان عن هذا التوجه. ولكننا نلاحظ بالمحصلة أنها مشاريع فاشلة لا يمكنها تحقيق أهدافها، إذ مثلما فشل الأب كان مصير الابن الفشل أيضا، وفشلهما كان نكبة لدولتهما بما للكلمة من معنى. ينظر: بوزياني الدراجي، أدباء وشعراء من تلمسان. الجزائر، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠١١، الجزء ١، ص ص: ٢٢٣-٢٢٤.

٢٣. فيلالي عبد العزيز، المصدر السابق، الجزء ١، ص: ٥٢؛ حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاقتصادية والثقافية. الجزائر، منشورات الحضارة، ٢٠٠٩، الجزء :١، ص: ١٥.

٢٤. ابن خلدون يحي، بغية الرواد، الجزء ٢، ص: ٢٤. ابن خلدون عبد الرحمن، العبر، الجزء ٧، ص: ١٦١.

٢٥. لخضر عبدلي، المصدر السابق، ص: ١٠٥.

٢٦. الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر. بيروت، دار مكتبة الحياة، الطبعة ٢، ١٩٦٥، الجزء ٢، ص: ١٨٠.

٢٧. المصدر نفسه، ج: ٢، ص: ١٨٠.

٢٨. ابن خلدون يحي، بغية الرواد، ج: ٢، ص: ٣٨.

٢٩. حساني مختار، المصدر السابق، ص: ١٤، ١٨.

٣٠. عبدلي لخضر، المصدر السابق، ص ص: ١١٢-١١٥.

٣١. ومن الملفت للنظر في تاريخ الحكم الزياني تشابه واقعتين تمرد فيهما الإبن على الأب الأولى هي تلك التي شهدت تآمر أبي تاشفين عبد الرحمن على أبيه أبي حمو الأول وتدبير موامرة لقتله سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م، وأعلن نفسه سلطانا على العرش الزياني باسم "أبي تاشفين الأول". أما الحادثة الثانية فسيرد ذكرها في المتن. ينظر: التنسي، المصدر التاريخ، ص ص: ١٨٠-١٨١. دهينة عطاء الله، التاريخ السياسي لدولة بني زيان في كتاب: الجزائر في التاريخ من الفتح الإسلامي إلى بداية العهد العثماني. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤، الجزء ٣، ص: ٣٨٦.

٣٢. ابن خلدون، العبر، ج: ٧، ص ص: ١٩٥-١٩٦. التنسي، المصدر السابق، ص: ١٨١.

٣٣. الناصري، المصدر السابق، ج:٣، ص: ٧٦.

٣٤. يعتبر بوزياني الدراجي الفترة التي أعقبت حكم أبي حمو موسى الثاني والتي دامت ١٧١ سنة بمثابة دور الضعف والانحدار، وعلى ما يبدو من خلال سير الأحداث أن ما ذهب إليه في هذا الرأي قريب للصحة إلى حد بعيد، إذ أننا نجد حالة من التفكك والانحلال كانت تنخر الدولة الزيانية. ينظر: المصدر السابق، ص: ٣٠٧.

٣٥. عبدلي لخضر، المصدر السابق، ص ص: ١١٤-١١٥.

٣٦. بوعياد محمود، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط. الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٢، ص: ١٦.

٣٧. ابن خلدون، العبر، الجزء ٧، ص: ١٩٦. فيلالي عبد العزيز، المصدر السابق، الجزء ١، ص: ٦٦.

٣٨. بوشقيف محمد، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (١٤-١٥م). أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، ٢٠١١، ص: ٦.

٣٩. ابن خلدون، العبر، الجزء ٧، ص ص: ١٩٦-١٩٧.

٤٠. المصدر نفسه، ص: ١٩٧. التنسي، المصدر السابق، ص ص: ١٨١، ٢٠٦، ٢٠٨.

٤١. ومن أغرب ما قرأنا عن فترة حكم أبي الحجاج يوسف ما كتبه التنسي عنه واصفا إياه "بدرا في سماء الخلافة"، وهو الذي بدء حكمه بسفك للدماء، ولا ندري ما الذي أجبره على مدحه بهذا الشكل، حين كتب يقول: "فبرز بدرا في سماء الخلافة وملكها، وحل منها حسنا وإحساناً محل واسطة سلكها، فجند الجنود، وعقد الألوية والبنود، وأمر الأيام فائتمرت، وطافت بكعبته الآمال واعتمرت إلى بيان جبل عليه وفصاحة، ورحب جناب للوافدين وساحة في

أيام كأنها في حسنها جمع، وليال كان فيها على الإنس مقر ومجتمع". ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص: ٢٠٩.

٤٢. المستنصر بالله أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن: ويكنى بأبا العباس حكم الدولة المرينية مرتين، الأولى ما بين (٧٧٦-٧٨٦هـ/١٣٧٤-١٣٨٤م) وحكم فيها عشرة سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوما، والثانية ما بين (٧٨٩-٧٩٦هـ/١٣٨٧-١٣٩٣م) وحكم فيها ست سنين وأربعة اشهر، وتوفي بتازا ودفن بفاس. ينظر: ابن الأحمر، روضة النسرين، ص ص: ٣٤-٣٥. الناصري، المصدر السابق، الجزء ٤، ص ص: ٦٩، ٧٣-٧٤، ٧٨.

٤٣. التنسي، المصدر السابق، ص: ٢٠٩-٢١٠. عبدلي لخضر، المصدر السابق، ص: ١٢١.

٤٤. ابن خلدون، العبر، الجزء ٧، ص ص: ١٩٦-١٩٧. بوشقيف محمد ، المصدر السابق، ص: ٦.

٤٥. الناصري، المصدر السابق، الجزء ٤، ص: ٨٩.

٤٦. التنسي، المصدر السابق، ص: ٢١٠، ٢١١، ٢٢٧.

٤٧. الجيلالي عبد الرحمن، المصدر السابق، الجزء ٢، ص: ١٨٦.

٤٨. فيلالي عبد العزيز، المصدر السابق، الجزء ١، ص: ٦٨.

٤٩. التنسي، المصدر السابق، ص: ٢٢٨.

٥٠. فيلالي عبد العزيز، المصدر السابق، الجزء ١، ص: ٦٨.

٥١. التنسي، المصدر السابق، ص: ٢٢٨.

٥٢. فيلالي عبد العزيز، المصدر السابق، الجزء ١، ص: ٩٦.

٥٣. التنسي، المصدر السابق ، ص: ٢٢٩.

٥٤. المصدر نفسه، ص ص: ٢٣٠-٢٣١.

٥٥. المصدر نفسه، ص: ٢٣٤. الجيلالي عبد الرحمن، المصدر السابق، الجزء ٢، ص: ١٩.

٥٦. المصدر نفسه، ص ص: ٢٣٤-٢٣٥.

٥٧. المصدر نفسه، ص: ٢٣٦.

٥٨. المصدر نفسه، ص: ٢٤٢.

٥٩. المصدر نفسه، ص: ٢٤٥.

٦٠. المازوني أبو يحي بن موسى التلمساني، الدرر المكنونة المكنونة في نوازل مازونة. دراسة وتحقيق: قندوز ماحي، الجزائر، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الطبعة١، ٢٠١٢، الجزء ١، ص: ٥٨.

٦١. التنسي، المصدر السابق، ص: ٢٤٧.

٦٢. ابن الأحمر، المصدر السابق، ص: ٣٦.

Sources and References:

1. Abdali Lakhdar, The political and civilizational history of Bani Abd al-Wad. Oran, Ibn Nadim for editing and distribution, edition 1, 2011.
2. Adel Noueihed, Dictionary of Algerian personalities from the beginning of Islam to the present day. Beirut, Nuwayhed Cultural Foundation, 2nd edition, 1980.

3. Al-Jilali Abdul Rahman bin Mohammed, History of Algeria. Beirut, Hayat Library House, edition 2, 1965, part 2.
4. Al-Mazuni Abu Yahya ibn Musa al-Tlemceni, The pearls hidden in the calamities of Mazouna. Study and survey: Kunduz Mahi, Algeria, Ministry of Religious Affairs and Endowments, Edition 1, 2012, Part 1.
5. Al-Nabahan Muhammad Farouk, Ibn Khaldoun's Thought from his Book El Muquadima, Bierut, Fonadatio Al-Resala for Printing, Publishing and Distribution, 1st Edition 1998.
6. Al-Nasiri Abu Al-Abbas Ahmed, the investigation into the news of the Maghreb Al-Aqsa The Marinid State-, Investigation and comments: Jaafar Al-Nasiri and Muhammad Al-Nasiri, Casablanca, Dar Al-Kitab, 1997 , Part: 3.
7. Al-Sayed Salem Abdel Aziz, History of the Islamic Maghreb, Alexandria, University Youth Foundation for Printing, Distribution and Publishing, no place of publication, 2nd edition.
8. Bekai Houaria, Zianide-Mérinides relations (political and cultural relations), unpublished master's thesis in History of the Islamic Maghreb, Department of History, Faculty of Letters and Human Sciences, University of Tlemcen, Algeria, 2008.
9. Bouanaini Siham, Abu Abdullah Al-Tansi and his book Al-Durr and Al-Aqian in a declaration of honor from Bani Zayan, and their kings, dignitaries and those of their ancestors, unpublished magister's thesis, Department of Islamic Civilization, Faculty of Human Sciences and Islamic Civilization, University of Oran, Algeria, 2009.
10. Bouayad Mahmoud, Aspects of Life in the Middle Maghreb. Algeria, National Publishing and Distribution Company, 1982.
11. Bouchikif Mohamed, the development of sciences in the central Maghreb in the 8th and 9th centuries AH (14-15 AD). Unpublished doctoral thesis, Department of History and Archeology, Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Tlemcen, 2011.
12. Boziani Darraji, Writers AND poets from Tlemcen. Algeria, Dar Al-Amal for studies, editing and distribution, 2011, part: 1.
13. Daheina Ata Allah, the political history of the state of Bani Zayan in the book: Algeria in the history of the Islamic conquest at the beginning of the Ottoman era Algeria, National Book Foundation, 1984, part: 3.
14. Filali Abdel Aziz, Tlemcen at the Zianide period, Algiers, Moufam edition, Part 1, 2000.
15. Filali Abdel Karim, Political History of the Greater Maghreb. Cairo, Nass Printing Company, Edition 1, 2006, Part 3.
16. George Marçais, The Maghreb Countries and Its Relations with the Islamic East in the Middle Ages, translation by: Mahmoud Abdel Samad Heikel, Alexandria, El Maarif Publishing House, 1991.
17. Hassani Mukhtar, History of Zayani State, economic and cultural conditions. Algeria, Publications of civilization 2009, part: 1.
18. Ibn AL-Ahmar, Jardin Al-Nisreen in the state of Bani Marin, Rabat, Imprimerie Royal, 1st edition, 1962.
19. Ibn khaldoun, EL Muquadima, Khalil Shehada adjusted the text and put the notes and indexes, Beirut, Maison de la Pensée for printing and distribution, 2001.
20. Ibn Khaldun Yahya, The Kings of Banu Abd al-Wad. Algeria, Pierre Fontana Oriental Press, Edition 1, 1903, Vol: 1, Part: 2.

21. Ibn Khaldun, the Story of Ibn Khaldun. Text control and setting up footnotes and indexes: Khalil Shehadeh, reviewer: Suhail Zakar, Beyrouth, Dar Al Fikr for Printing, Publishing and Distribution, 2001, Part: 7.